رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال المؤلِّفُ -رحمه الله تعالى-:

«الحمد لله، نحمدُه، ونستعينه، ونستغفره، [ونتوب إليه]، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا».

الشـرح

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه، وأصحابِه، ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

بدأَ المؤلِّفُ كتابَه بهذه الخُطْبةِ التي تُسمَّى «**خُطْبَة الحاجَة**»، ومضمونُ هذه المقدِّمة أنَّ علم التفسيرِ هو أَجَلُّ العُلوم؛ لأنَّ العِلم يَشْرُف بشرف موضوعِه، وموضوعُنا مِن التفسيرِ هُو كَلامُ الله -عز وجل-، وكَلامُ الله أشرفَ الْكَلامِ، وهو أحبُّ الكلامِ أن يُفْهَم، وأَوْجبُ الكلامِ أن يُعْمَل بِه، وعَلى هذا يكونُ عِلمُ أُصولِ التفسيرِ من أَجلِّ العُلوم.

والعلماءُ -رحمهم الله- وَضعوا لِلعُلومِ كلِّها بأصنافِها أُصولًا تَرْجِع إليها، فأهلُ الفقهِ وضعوا أصولَ الفقهِ، وأَهلُ الحديثِ وضعوا مُصطلحَ الحديثِ؛ حتَّى يرجِعَ الإنسانُ إلى أُسُسٍ وأُصولٍ؛ لأنَّ الرُّجُوعَ إِلى الأُصُولِ

في نَظرِي ونظرِ غيرِي هُو العلمُ حقيقةً، دُون العِلْمِ بالجزْئِيَّات والمسَائِلِ المفْرَداتِ؛ ولذلك إذا مَنَّ اللهُ على الإنسانِ بمعرفة الأُصُول انفتَحَ له مِن أَبوابِ الْعِلْم شيءٌ كثيرٌ؛ لِذَلك وضعْنَا هذه الأُصولَ عَلى حسب منهج الثانويَّةِ بالمعهد العِلْميِّ، ولكنَّها وإِنْ كانتْ لـهذا المسْتَوى مِن الطلَّابِ فَهِي مفيدةٌ -إن شاءَ اللهُ-، ولذَلِك قرَّرْنا أنْ تكون القراءَةُ فِيها في هذه الجلسات.

قوله: «**الحمد**» هو وصفُ المحمود بالكمال مع المحبةِ والتعظيم.

ويكون الحمدُ إما لكمال المحمودِ، أو لإنعامه، كذلك هو فَضْل وإِفْضَالٌ، فالآكل إذا أكل يحمدُ الله -عز وجل- على إحسانِه وإِنْعامِه؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(١).

و«**اللاَّم**» في قوله: «**لله**» للاستحقاقِ والاخْتِصاص، أما كونُها للاسْتِحقاق؛ فإنَّ أحقَّ من يُحمد هو اللهُ -عز وجل-، وأمَّا كونُها للاختصاص؛ فلأنَّ الحمدَ مُستَغْرِقٌ لجميع أَنْواعِ المحامِدِ؛ لأنَّ «**أل**» في «الحمدُ» للاسْتِغراقِ، والذي يخْتَصُّ بالحمد كلِّه هو اللهُ -عز وجل-. ولهذَا نقول: «**اللام**» في «**الحمدُ لله**» للاستِحْقَاق والاخْتِصاصِ.

وقوله: «**نحمده**» جملةٌ توكِيديَّةٌ، أي: توكيدٌ في المعنَى؛ لقوله: «**الحمدُ لله**».

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم (٢٧٣٤).

وقوله: «نستعينُه» أي: نطْلُب منه العَوْنَ، وقولُه: «نستغفره» أي: نطْلُب منه المغفرةَ، فأمَّا العَوْنُ فهو المساعدة، وأمَّا المغفرةُ فهي سَتْر الذُّنوب مع التَّجاوُزِ عنها.

وقوله: «ونتوب إليه» وُضِعَتْ بَيْن قَوْسَين؛ لأنها لم تأتِ في الحديثِ، لكن ذُكِرَتْ تقليدًا للْعُلماءِ السَّابقين، وأمَّا لفْظُ الحديثِ: «الحمْدُ لله، نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا»[1].

وقوله: «نعوذ بالله» أي: نَعْتَصِم به.

وقوله: «من شُرور أنفسِنا»، وهنا مسألةٌ: هل للنَّفسِ شُرورٌ؟

الجواب: نعم، للنفس شُرورٌ، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾ [يوسف:٥٣]، والنفوسُ التي جاءت في القرآن وُصِفَتْ بثلاثةِ أَوصافٍ:

الأول: النَّفْس المطْمَئِنَّة؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

الثَّاني: الأَمَّارة بالسُّوء، في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

الثالث: النَّفس اللَّوَّامة، في قوله -تعالى-: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٧٤٤)؛ وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، رقم (١٠٩٧)؛ والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم (١١٠٥)؛ والنسائي: كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، رقم (١٤٠٤)؛ وابن ماجه: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم (١٨٩٢)، وهو لفظ ابن ماجه.

فأمَّا المطْمَئِنَّةُ والأمَّارةُ بالسُّوءِ فهما مُتبايِنتانِ؛ لأنَّ المطمَئِنَّةَ تأمُر بالخيْرِ وتَنْهَى عنِ الشَّرِّ، والأمَّارةُ بالسُّوءِ تأمُرُ بالشَّرِّ وتنْهَى عَنِ الخيرِ، وأمَّا اللوَّامَةُ فالصَّحيحُ أنَّها وصفٌ للنَّفْسَيْنِ جميعًا، فالأمَّارةُ بالسُّوءِ تَلومُكَ، والمطمَئِنَّةُ تَلومُكَ؛ فأمَّا الأمَّارةُ بالسُّوءِ فتلومُكَ إذا فعَلْتَ الخيْرَ، وإذَا تركْتَ السُّوءَ، والمطمَئِنَّةُ تَلومُكَ إذا فَعلْتَ السُّوءَ، وإذا تَرَكْتَ الخيْرَ.

فالصَّوَابُ أنَّ اللَّوَّامةَ: وَصْفٌ للنَّفْسَيْنِ جميعًا، أي: للأمَّارةِ بالسُّوء، وَلِلمُطْمَئِنَّةِ.

إذن: أنفسُنا فِيها شُرورٌ، والمعصومُ من عَصَمَه اللهُ -عز وجلَّ-، ولهذا نَعْتَصِم بالله من شُرورِ أنفسِنا.

وقوله: «ومن سيِّئَاتِ أعمالِنا»؛ فالأعْمالُ كَما هو مَعلُومٌ تنْقَسِمُ إلى ثلاثة أقسامٍ: إما سيِّء، وإما صالح، وإما بينهما، أي: لا سيءٌ ولا صالحٌ.

فلو قال قائِلٌ: هل للسيِّءِ آثارٌ سيِّئَةٌ؟

فالجواب: نعمْ، واقْرَأْ قولَ الله -تعالى-: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]، فعاقَبَهمُ اللهُ بهذه العُقوباتِ؛ لأنَّهم نَقَضُوا الميثاقَ، فسيِّئاتُ الأعمالِ لها آثارٌ سَيِّئَةٌ، وما حصل الشرُّ إلا بسيِّئاتِ الأعمال، قال الله -تعالى-: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم:٤١]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

وقوله: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ له» يشمل هذا من يَهْدِه الله تقديرًا، ومَنْ يهدِه الله تحقيقًا؛ فمن يُقَدِّرِ اللهُ له الهدايةَ، فلا بدَّ أن يهْتدِيَ، ولو وُجِد له عواملُ تقتَضِي ضلالَه، ومَنْ هداه اللهُ تحقيقًا واهْتَدى، فإنَّه لا يستَطِيعُ أحدٌ أن يُضلَّه؛ لأن اللهَ تعالى قدْ هَداه، والأمرُ بيد الله -عزَّ وجلَّ-.

وهذه الجملةُ تُوجِب للإنسانِ ألَّا يَطلُب الهدايةَ إلا من الله -عز وجل-، مَع فِعل الأسبابِ، فالأسبابُ لا بدَّ منها، فاسْأَلِ اللهَ الهَدايةَ، واعْمَلْ لأسْبَابِها، مِنْ تَعَلُّمِ الشريعةِ واستْطلاعِها، وما أشبهَ ذَلِك.

وقوله: «وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لهُ» ويشمل هذا مَن يُضْلِلْ بالفعل، يعني: حقيقةً، ومن يضلل تقديرًا؛ فَمَنْ أَرادَ الله إِضلالَه، فإنَّه لا يُمكن أن يَهْدِيَه أحدٌ، وليس أدَلَّ على ذَلك مِن فعلِ الرَّسُولِ -عليه الصلاة والسلام- مع عمِّه أبي طالبٍ، فعمُّه أبو طالب أحْسَنَ إِلى الرَّسُولِ ﷺ إحسانًا عظيمًا، وصَبرَ علَى مقاطعة قريشٍ من أجل أن يكونَ مع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وآمَنَ بِه بلسانِه فصدَّق، وقالَ في لاميَّتِه المشهورةِ:

لَقَـدْ عَلِمُـوا أَنَّ ابْنَنَـا لَا مُكَـذَّبٌ ... لَدَيْنَا، وَلا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ[1]

وقال:

وَلَقَدْ عَلِمْـتُ بِـأَنَّ دِيـنَ مُحَمَّـدٍ ... مِـنْ خَـيْرِ أَدْيَـانِ الْبَرِيَّـةِ دِينًـا

لَوْلَا الْمَلَامَـةُ أَوْ حِـذَاري سُـبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًـا بِذَاكَ مُبِينًا[2]

---

(١) ديوان أبي طالب (ص:٧٣).

(٢) ديوان أبي طالب (ص:٩١).

ومع ذلك لم يهتدِ مع حِرص النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- على هدايَتِه، فماتَ على الْكُفْرِ، وقد حضَرَه النبيُّ ﷺ وهو في سِياق الموت، فقال: « **يَا (أَيْ) عَمِّ، قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، ولكنه لم يقل ذَلك، وكانَ آخرُ ما قال: إنَّه على مِلَّة عبد المطلب[1]، فماتَ على الكفر -والعياذ بالله-.

ثم قالَ: «وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

قوله: «أشهد»، أي: أُقرُّ إقرارَ مُشَاهِدٍ، والمشاهِدُ للشيءِ يراه حِسًّا، فالشَّهَادةُ هنا متضمِّنَةٌ للإقرار الَّذِي يُعتبَرُ بمنزِلَة الشَّهَادةِ لتَأكُّدِ المقرِّ.

وقوله: «أنَّ لا إله إلا الله» ليس معناه: (لا يوجد إله إلا الله)؛ لأن هذا المعنى غيرُ صحيح؛ لأن هناك آلهةً تُعْبَدُ مِن دون الله وتُسمَّى آلهةً، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال -تعالى-: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [هود:١٠١]؛ ولأننا لو قلنا: (لا إلهَ موجود إلا الله)، لكان هذا هو القولُ بوحدةِ الوجود؛ لأنَّ الله خالقُ السموات والأرض، وهذه الأصنامُ آلهةٌ، فصار المعبودُ واحدًا.

وبهذا تعيَّن أن يكون المعنى: (لا إله حقٌّ إلا الله)، وعلى هذا فيكون خبر «**لا**» النافية محذوفًا، ولفظُ الجلالة الذي بعد «**إلا**» بدلًا منه، وهذا أحسنُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٤)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم (٢٤).

الأعاريب، وأسلَمُ الأقوال من الإيرادات والاعتراض.

وقوله: «**وحده لا شريك له**» فـ: «**وحده**» تأكيدٌ للإثبات، و«**لا شريكَ له**» تأكيدٌ للنفي، وهذه الجملة هي كلمة الإخلاص، التي لو وُزِنَتْ بها السمواتُ والأرضُ لَرَجَحَتْ بهنَّ[1]، وهي التي مَنْ كانت آخرَ كلامه من الدنيا دخل الجنة[2]، فهي كلمةٌ عظيمةٌ لها وزنُها وَقِيمتُها، تعصِمُ الإنسانَ ومالَه من القَتْل، كما تعصِمُه من الكفر، ولهذا لما لحِقَ أسامةُ بْنُ زيدٍ -رضي الله عنه- المشرِكَ وأدْرَكَه، قال المشرِكُ: «لا إله إلا الله»، فَفَهِم أسامةُ أنَّهُ قالها تعوُّذًا وخَوْفًا مِن القتل فقَتَله، ثُم بلَغَ ذلك النبيَّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!**» قال: نعم، لكنه قالها تعوُّذًا، ومعنى تعوُّذًا، أي: ليعْتَصِم بها من القتل، فجعل النبيُّ ﷺ يرددها، حتى قال أسامةُ: تمنيت أني لم أَكُنْ أسلمتُ بَعْدُ[3]، تمنَّى أنه لم يكن أسلمَ؛ لأجْلِ أنه إذا أسلَمَ غُفِر له ما قد سلف، ولكن الأمر قد حصل، إلا أن النبيَّ ﷺ لم يُضَمِّنْه دِيَةً ولا كفارةً؛ لأنه متأوِّلٌ، والكفارةُ لا تأتي مَعَ العَمْدِ.

وقوله: «**وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه**» سبق شرح قوله: «**أشهد**».

---

(١) قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ**». أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩، رقم ٦٥٨٣)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/ ٢٢٠) قال الهيثمي: رواه كله أحمد ورواه الطبراني، ورجال أحمد ثقات. والحاكم (١/ ١١٢، رقم ١٥٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧، رقم ٢٢١٨٠)، وأبو داود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم (٣١١٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة، رقم (٤٢٦٩)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، رقم (٩٦).

وقوله: «**محمدًا**» هو ابنُ عبدِ الله بن عبد المطلب، الهاشميِّ القرشيِّ، صلواتُ الله وسلامُه عليه، لا يُوجَد مِن بني إسماعيل نبيٌّ سواه.

وقوله: «**عبده**»، أي: العابِد المتذلِّل لله، وليس له حقٌّ من الربوبية.

وقوله: «**ورسولُه**»، أي: المرسَل من قِبَل الله -عز وجل-، فلَيْس بكاذِبٍ، وليسَ له حقٌّ في الربوبية.

وفي قوله: «**عبده**» الرَّدُّ على من غَلا فيه، وأما «**رسوله**» فَفيه الردُّ على من قَدَح فيه، أو قال: إنَّ رسالتَه ليست عامةً، فالنصارى واليهودُ عليهم لعائنُ الله إلى يوم القيامة، يقولون: (محمد رسول، وعيسى رسول، وموسى رسول)، لكنَّ موسى إلى قومِه، وعيسى إلى قومِه، ومحمدًا إلى قومِه، فلا فرق بيننا وبينكم، أنتم آمنتُم برسولٍ أُرْسِل إليكم، ونحن آمنَّا برسولٍ أُرْسِل إلينا، واليهودُ كذلك.

ولكن نقول: إن محمدًا ﷺ رسولٌ إلى كلِّ مَن وُلِد مِن بعدِ رسالته، فإنَّه يلزمه اتِّباعُه، حتى قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»[1].

وقوله: «**محمدًا عبده ورسوله**» لم يقُلْ: إلى الناس كافةً، مع أن هذه الجملةَ مما علَّمه النبيُّ ﷺ أمتَه في التشهُّد، فيقال كما قال ابن مالك -رحمه الله-[2]:

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧)، من حديث جابر عن عمر -رضي الله عنهما- وفيه مجالد بن سعيد، وقد تغيَّر بآخرة، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٣٤) رجاله موثقون إلا أن في مجالدٍ ضعفًا.

(٢) في ألفيته، باب الابتداء، البيت رقم (١٣٦).

وَحَـذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ.... .....

ونحن نعلم أن رسالتَه مُطْلَقَةٌ لكل أحدٍ، فحُذِفَ المرسَلُ إليه للعلم به.

وقوله: «صلى الله عليه»، وأحسن ما يقال في صلاة الله -عز وجل- على النبي ﷺ: أنها الثناء عليه في الملأ الأعلى، أي: مدحُه ووصفُه بصفات الكمال في الملأ الأعلى[1].

وقوله: «وعلى آله» الآل: تارةً تُذكر وحدَها، مثل قولنا في التشهد: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»**[2]، فإذا ذُكِرت وحدَها كان المرادُ بها جميعَ أتباعِه على دينه، كقول الله -تعالى- في فرعونَ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، أي: أتباعَ فرعونَ.

وَإذا ذُكِرت الآلُ، والصحبُ، والأتباعُ، كما في هذه العبارةِ، صارَ المرادُ بالآلِ قرابتَه المؤمنين بِه، أما غيرُ المؤمنينَ به فليسوا مِن آلِهِ؛ لأنَّ الله قال عنْ نُوحٍ في وَلَدِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦]، وهو ابنُه من صُلْبِه، ومع ذلك نفى اللهُ أن يكونَ من أهلِه، فكذلك الذين لم يؤمنوا بمحمدٍ -عليه الصلاة والسلام- من قرابتِه ليسوا من آلِه، وإن كانوا من آله نسبًا، لكنَّهم لا يدخلون في الدعاءِ له.

وقوله: «وأصحابه»، أي: الذين اجتمعوا به مؤمنين به، ولو لحظة

---

(١) عن أبي العالية، أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، كتاب التفسير، باب «إن الله وملائكته يصلّون على النبي» (٤٧٩٧)، ولفظه: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة».

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم (٣٣٧٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٠٥).

واحدة، وماتوا على ذلك.

وقوله: «ومن تبعهم بإحسان» هذه اللفظة مأخوذة من قول الله -تعالى-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، وإنما قُيِّدَتِ التبعيَّةُ هنا بالإحسانِ؛ لأنَّ التبعيةَ قد تكونُ مطلقةً، وقد تكون مقيَّدَةً بالإحسان، بحيث يترسَّمُ خُطاهم قولًا، وفعلًا، وتركًا، أمَّا مَن كان مُتَّبِعًا مُطْلَق المتَابَعَةِ فهذا لا يكفي، أي: لا يدخُل في هذا الدعاءِ، بل لا بدَّ من الإحسان.

وقوله: «وسلم تسليمًا» ثَنَّى بالسلام؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وأما في التشهُّدِ فإننا نبدأُ بالسَّلام قبلَ الصَّلاةِ، ووجهُ ذلك: أن الرسولَ ﷺ عَلَّمَ الأمةَ السلامَ قبل الصلاةِ، ثُمَّ بعد ذلك طلبوا منه أن يُعلِّمهم الصلاةَ عليه، كما علَّمهم السلامَ، فعلمهم، فصار الترتيبُ أن يبدأَ بالسلامِ أولًا، ثم الصلاةِ ثانيًا[1].

* * *

«أمَّا بعْدُ:

فإنَّ من المهمِّ في كلِّ فنٍّ أن يتعلَّمَ المرءُ من أُصولِه ما يكون عونًا لَهُ عَلى فهمِه، وتخريجِه على تلك الأُصولِ، ليكونَ عِلْمُه مبنيًّا على أُسُسٍ قويَّةٍ، ودعائمَ راسِخَةٍ، وقد قيل: من حُرِمَ الأصولَ حُرِمَ الوُصولَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، رقم (٤٧٩٨)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٠٥).

ومن أجلِّ فُنُونِ العِلْمِ -بل هو أجلُّها وأشرفُها- عِلم التفسير، الَّذي هو تَبْيِينُ معانِي كَلامِ الله -عز وجل-، وقد وَضَع أهلُ العِلْمِ له أُصُولًا، كَما وَضَعُوا لِعِلْم الحديث أُصُولًا، ولِعِلْم الْفِقه أُصُولًا.

وقد كُنْتُ كتَبْتُ مِن هذا العِلْمِ مَا تيسَّرَ لطُلَّابِ المعاهد العِلمية فِي جَامِعَةِ الإِمَام محمدِ بْنِ سُعُودٍ الإِسْلَامِيَّةِ، فطَلَبَ مِنِّي بَعْضُ النَّاسِ أَنْ أُفْرِدَها فِي رِسَالَةٍ، لِيكُونَ ذَلِك أيْسرَ وأَجْمَع، فَأَجَبْتُه إِلى ذلك».

الشـرح

هذه القطعة تتضمَّنُ أنَّ مِن المهمِّ أن يُركِّزَ الإِنسانُ معلوماتِهِ على الأُصُولِ، أي: أُصُولِ المسَائِل؛ لأن الأُصُولَ هِي الَّتي تجمع له الفروعَ، ومَن كان مُعْتَنِيًا بالفُروعِ دُونَ الأُصُولِ، فإنَّه يفوته الفُروعُ والأُصُولُ؛ لأنَّ الفُرُوعَ كأوراقِ الشجَرَةِ تتَحاتّ وتزول، وأما الأُصُول فهو كعُرُوقِ الشجرةِ تُرَسِّخُ الشجرةَ وتُبقِيها، ولهذا أحُثُّ كُلَّ طالبِ علمٍ عَلَى أن يعْتَنِي بالأُصُولِ والقَواعِدِ والضَّوابِطِ، وكذَلِك المسَائل، والكلمات الجامعة التي تشمل مسائلَ كثيرةً؛ لأننا نرى أن بعض الناس -مِن طلبة العلم وغيرهم- يَعْتني بجمع المسائل فقط؛ يجمَعُ مئةَ مسألةٍ، أو أكثر، لكن ليس عندَه أصلٌ يبْنِي عليه، فإذا وردتْ عليه أيُّ مسألةٍ تخالف ما كان حافظًا لا يستطيع أن يُخَرِّجَها، ولذلك نحُثُّ طالب العلم على معرفة الأصول، وقد قيل: «مَنْ حُرِم الأصولَ؛ حرم الوصول»، يعني: أنه لا يصل إلى غايته، وهذه حقيقةٌ.

ثم قال: «إن من أَجَلِّ فُنون العلم -بل هو أَجَلُّها وأشرفها- علم التفسير:

الذي هو تبيين معاني كلام الله -عز وجل-»؛ لأن العلْمَ يشْرُف بموضوعِه، وموضوعُ علم التفسير كلامُ الله -عزَّ وجل-، فالاعتناء به أهمُّ من الاعتناء بشرح الحديث، وأهمُّ من الاعتناء بشرح متنٍ مِن متون العلماء؛ لأنه تفسيرٌ لكلام الله -عز وجل-، والعُلُوم تشْرُف بحسب موضوعِها.

ثم قال المؤلف: «وقد كنت كتبت مِن هذا الْعِلْم ما تيسر لطلاب المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فطلب مني بعضُ الناس أن أفردها في رسالة ليكون ذلك أيسرَ وأجمعَ، فأجَبْتُه إلى ذلك»؛ وزدت ما شاءَ الله، وحذفتُ بعضَ الأشياءِ التي لا فائدةَ منها، فصارَ هذا الكتاب مختصرًا، وأكثرُ اعتمادي فيه على مقدِّمة التفسيرِ لابن تيميةَ -رحمه الله-؛ لأن المقدمةَ نافعةٌ، لكن كما هو معلومٌ أن الشيخَ -رحمه الله- كلامُه دائمًا مُرسَلٌ؛ لأنه بحرٌ متلاطم لا تحجزُه الجداول، فهو -رحمه الله- يتكلَّم بكلامٍ مُرسَلٍ يحتاج إلى أن يُجْمَع ويُبْسَط ويُسَهَّل للطالب.

* * *

«وأسألُ اللهَ تعالى أن ينفَعَ بها.

ويتلخَّصُ ذلك فيما يأتي:

القرآن الكريم:

١- متى نزلَ القرآنُ على النبيِّ ﷺ، ومَنْ نَزل به عليه من الملائكَةِ.

٢- أوَّلُ ما نزَل مِن القرآنِ.

٣- نُزولُ القرآنِ على نوعَيْنِ: سببي وابتدائِي.

٤- القرآنُ مَكِّيٌّ ومدني، وبيانُ الحكمةِ من نزوله مُفرَّقًا، وترتيبُ القرآن.

٥- كتابةُ القرآن وحفظُه في عهد النبي ﷺ.

٦- جمعُ القرآنِ في عهد أبي بكرٍ وعثمانَ -رضي الله عنهما-.

التفسيرُ:

١- معنى التفسيرِ لغةً واصطلاحًا، وبيانُ حُكْمِه، والغرض منه.

٢- الواجبُ على المسلم في تفسير القرآن.

٣- المرجِعُ في التفسير إلى ما يأتي:

أ- كلامُ الله تعالى بحيْثُ يفسَّرُ القرآنُ بالقرآن.

ب- سُنَّة الرَّسُول ﷺ؛ لأنه مبلِّغٌ عن الله تعالى، وهو أعلَمُ الناس بمُرادِ الله -تعالى- في كتابِ الله.

ج- كلامُ الصحابة -رضي الله عنهم-، لا سيما ذَوُو العلم منهم والعنايةِ بالتفسير؛ لأن القرآنَ نزل بلغتهم وفي عصرهم.

د- كلام كبار التابعين الذين اعتَنَوْا بأخذ التفسير عن الصحابة -رضي الله عنهم-.

هـ- ما تقتضيه الكلماتُ من المعاني الشرعيَّةِ أو اللغوية حسب السياق، فإن اختلَف الشرعيُّ واللُّغَويُّ، أُخِذ بالمعنى الشرعيِّ إلا بدليلٍ يُرجِّح اللغويَّ.

٤- أنواع الاختلاف الوارد في التفسير المأثور.

٥- ترجمة القرآن: تعريفُها -أنواعُها- حُكْمُ كلِّ نوع.

- خمسُ تراجِمَ مختصرةٌ للمشهورينَ بالتفسيرِ: ثلاثٌ للصحابة، واثنتانِ للتابعين.
- أقسام القرآن من حيث الإحكامِ والتَّشابُه.

- موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشَابِهِ.

- التَّشابُه: حقيقيٌّ ونسبيٌّ.

- الحكمةُ في تنوع القرآن إلى مُحْكَمٍ ومتشَابِهٍ.

- موهِمُ التعارُض من القرآن، والجوابُ عنه، وأمثلةٌ من ذلك.

القَسَم: تعريفه -أداتُه- فائدتُه.

القَصَص:

تعريفُها -الغرَضُ منها- الحِكْمَةُ من تكرارها واختلافِها في الطول والقِصَر والأسلوب.

الإسرائيلياتُ التي أُقحِمَتْ في التفسير، وموقفُ العلماء منها.

الضَّمير:

تعريفُه -مرجِعُه- الإِظْـهُار في موضِع الإضمارِ وفائدتُه -الالتفاتُ وفائِدتُه- ضميرُ الفصلِ وفائدتُه».

الشـرح

ولْيُعْلَمْ أن هذه الرسالةَ أُصولٌ في التفسير، وليست أصولَ التفسير كلَّها، لكنها أصـولٌ في التفسير يـحتاجُ إليها من أرادَ أن يُفسِّرَ كلامَ الله -عز وجل-.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن الكريم

١- نزول القرآن.

٢- أول ما نزل من القرآن.

٣- نزول القرآن ابتدائي وسببي.

٤- المكي والمدني.

٥- كتابة القرآن وجمعه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القــرآن الكــريم

«القرآنُ في اللغة: مَصْدَرُ «قَرَأَ» بمعنى «تَلا»، أو بمعنى «جَمَع»، تقول: (قَرَأَ قَرْءًا وقُرْآنًا)، كما تقول: (غَفَرَ غَفْرًا وغُفْرَانًا)، فَعلى المعنى الأول «تلا» يكون مَصْدرًا بمعنى اسم المفعول؛ أي: بمعنى (مَتْلُوّ)، وعلى المعنى الثاني: «جَمَعَ» يكون مصدرًا بمعنَى اسم الفاعل؛ أي: بمعنى (جَامِع)؛ لجمْعِهِ الأخبارَ والأحكامَ»[1].

الشــرح

إذن: القرآن يحتاج إلى معرفته لغةً وشرعًا.

أما اللغة فقالوا: إنه مصدر «قَرَأَ» بمعنى «تَلا» مثل قول الله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:٩٨]؛ يعني إذا تَلَوْتَ القرآن، أو «قَرَأَ» بمعنى «جَمَعَ»، ومنه (القرية)؛ لأنها تجمع السكان، وكلاهما صحيحٌ؛ لأن القرآن إن قلت: (إنه مقروء، أي: متْلُوٌّ) فصحيح، وإن قلت: (إنه قارئ، أي: جامع للأخبار النافعة، والأحكام العادلة) فهُو كذلك.

فالقرآن مجموعٌ، فصار (قرأ) بمعنى اسم المفعول، سواءٌ أكانت من القراءةِ بمعنى التلاوة، أو القراءة بمعنى الجمع، أما (قرأ) بمعنى التلاوة فهي

---

(١) ويمكن أن يكون بمعنى اسم المفعول أيضًا؛ أي بمعنى مجموع؛ لأنَّه جُمِع في المصاحف والصدور -المؤلف-.

اسم مفعول؛ لأن القرآنَ ليس قارئًا، بل مقروءٌ، فالقرآن بمعنى التلاوة لا يكون إلا بمعنى اسم المفعول، والقرآنُ بمعنى (قرأ)، أي: الجمع يكون بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول.

هذا باعتبار القرآن لغةً.

***

«والقرآنُ في الشرع: كلامُ الله تعالى المنزَّلُ على رسولِه، وخاتمِ أنبيائه، محمدٍ ﷺ، المبدوءُ بسورة الفاتحة، المختومُ بسورة الناس.

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان:٢٣]، **وقَالَ:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]».

الشرح

هذا هو القرآن، والقرآنُ كلام الله -تعالى- لفظُه ومعناه، ونحن نؤمن بأنَّ الله تكلم بهذا القرآن الذي نقرؤُه، أيه أنه -سبحانه وتعالى- تكلَّم بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وتُكلَّم بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وما أشبه ذلك، تكلَّم به -عز وجل- كلامًا مسموعًا منقولًا إلينا عن طريق رسولَيْن كريمَيْن، رسولٍ مَلَكيٍّ، ورسولٍ بَشَريٍّ، فالرسولُ الملَكِيُّ جبريلُ عليه السلام، والرسولُ البشريُّ محمدٌ ﷺ، وقد نُسِب القرآنُ إليهما في الكتاب، فقال -عز وجل-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]، فالرسولُ هنا جبريلُ عليه السلام، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة:٤٠-٤١]،

فالرسولُ هنا محمد ﷺ؛ لأنهما بلَّغا.

وهلِ الكلام يُنسب إلى المبلِّغ أو المبلَّغ عنه؟

والجواب: يُنسب إلى المبلَّغ عنه ابتداءً، وإلى المبلِّغ تبليغًا، ولهذا نسبه اللهُ إلى جبريلَ وإلى محمدٍ عليهما الصلاة والسلام، لكنَّ الحقيقةَ أن الكلامَ يُنسَب إلى مَن قاله مبتدئًا، لا إلى من قَاله مُبَلِّغًا مُؤدِّيًا.

وقوله: «**وخاتم أنبيائه**» ولم يقل: وخاتم رُسُله؛ لأنك إذا نفيت النبيَّ نفيتَ الرسولَ من باب أولى، لكن لو نفيتَ الرسولَ فإنه لا ينتفي النبيُّ، وما أبلغَ الكتابَ العزيزَ حيث قال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ولم يقل: «رسول الله وخاتم المرسلين»، بل قال: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ لأنه لا يُمْكِن لأحدٍ أن يُنَبَّأَ بعد الرسول ﷺ، لا برسالةٍ ولا بغيرِها، وهذا المعنى قد أجمع عليه المسلمون.

وهذا القرآنُ -ولله الحمدُ- محفوظٌ في الصدور، مكتوب في السطور، منقولٌ بالتواتر القطعيِّ اليقينيِّ، ولم يشِذَّ إلا الرافضةُ، حيث ادَّعوا أن القرآنَ فيه نقصٌ، وأنه حُذِف منه أشياء، وزادوا على ما في القرآن الموجود لدى المسلمين، والذي أجمع عليه المسلمون.

أول القرآنِ الفاتحةُ، كتابةً وتلاوةً -أما نزولًا فأوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]-، وآخره ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فما بين هاتين السورتين كلُّه كلام الله -عز وجل- حتى قال العلماء: وهذا القرآن -ولله الحمد والمنَّة- محفوظ في الصدور، مكتوب في السطور، منقول بالتواتر القطعيِّ اليقينيِّ،